



في رهاب أهل البيت عليهم السلام

(٤٣)

عبدالله بن سبأ من منظور آخر



اسم الكتاب: عبدالله بن سبأ من منظور آخر

المؤلف: الشيخ اسد حيدر - لجنة البحوث

الموضوع: كلام

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ١٠٠٠٠

ISBN: 964-8686-83-1

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتدين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى

أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر. إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة. وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثيرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمّد وآله الطاهرين.

وصلتنا عدّة تساؤلات حول شخصية عبدالله بن سبأ ومكانته في تاريخ الشيعة. ونرى بكل وضوح أنّ بعض هذه التساؤلات تنطلق من منطق الوعي والفهم فيودّ السائل أن يلفت الانتباه حول الموضوع.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام الى تدوين كتاب ثمين في ذلك الحقل - باسم حقيقة التشيع - الذي يلفت الانتباه للقارئ الواعي بالنسبة الى مذهب الشيعة وشؤونه ومكانته البارزة في الدين منذ البداية لحد الآن.

ونرى أنّ البعض الآخر من تلك الأسئلة تنبثق من منطلق العدا والاعتداء ويحاول السائل أن يبذر الخصام بين المذاهب الإسلامية ويستهدف عدم التلاحم بين صفوف المسلمين تحقيقاً للأهداف العدائية للاستكبار العالمي.

ومن المؤسف أنه قام بتشويه سمعة الشيعة، عدة من العملاء والمرزقة في عصرنا الحاضر فيحاولون بكل جدّ إصاق وصمات بالمؤمنين - أتباع آل البيت - بمختلف الاتهامات، منها استغلال أسطورة عبدالله بن سبأ على الدوام،

معلنين بأنّ هذا الشخص اليهودي هو الذي أسس أساس الشيعة. سائرين بذلك في فلك الاستعمار العالمي الظالم. وهذا هو الهدف المنشود عندهم، وليست لهم آذان يسمعون بها ولا قلوب يفقهون بها ولا يُثمرنا الحديث معهم، أولئك هم السفهاء الجهلة الذين قال الله فيهم: ﴿واعرض عن الجاهلين﴾ .

ومع ذلك كلّ لو كان فيهم من يتبع الهدى وسبيل الرشاد أرشدناه الى تأليف أنيق من مفكر إسلامي بارع هو الأستاذ أسد حيدر في ضمن كتابه القيم «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» حول أسطورة عبدالله بن سبأ وهو بالغ الجدارة بتمامها وكمالها.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام الى تحقيق ذلك الكتاب وتقويم نصّه من جديد وألحق ما يرتبط بأسطورة عبدالله بن سبأ بسلسلة بحوث: «في رحاب أهل البيت عليه السلام» تحت رقم ٤٣ وهو ما يقدمه لأصحاب الفكر والفضيلة.

راجياً من الله التوفيق الى سبيل الهداية للحقّ وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبدالله ابن سبأ من منظور آخر

تمهيد

قلّما يصدر كتاب يتناول البحث عن تاريخ الإسلام إلا وعبدالله ابن سبأ يحتلّ مكاناً في البحث ويشغل صحائف من الكتاب .

إنّ هذا الرجل الموهوم قد صوروه بألوان من الصور وأبرزوه بمختلف الأشكال . وقد وصفوه بأنّه بطل يخوض غمار الأهوال، ويتحمّل متاعب الانتقال، ومشقّة الأسفار، فمن المدينة لمكة، ومنها إلى البصرة، ثم الكوفة فالشام، ثم يجوب البراري ويقطع القفار. فلا يخلو منه مكان: هو موج ساحر أو برق خاطف يسير بسرعة الصوت.

إنّه داعية إلحاد وشرك، يضلّل الناس بأرائه، ويسمّم العقول بقوله. يدعو إلى المبادئ اليهودية، والعقائد الزرادشتية، له سيطرة على العقول، وهيمنة على الأفكار، يقول فيصدق ويأمر فيطاع، يسوق العرب بعصاه، حتى انصاع له جمع من الصحابة - والعياذ بالله - واعتنقوا مبادئه كما

يقولون وما أعظم ما يقولون! وأصبح أبو ذر خريج مدرسة محمد ﷺ ومن شهد له الرسول بالصدق وعمار بن ياسر، المعذب - هو وأبوه وأمه -، في الله من أنصار دعوته، وحملة عقيدته، والمتأثرين بأفكاره.

فتورة أبي ذر على ذوي الأثره الذين جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً كانت من آثار ابن سبأ - كما يفترون - والثورة على عثمان من دسائسه، وحرب الجمل من تصلبه، ووقعة صفين عن أمره، ومبادئ التشيع من تفكيره وآرائه و. و. و. فيالمهزلة العقل واسفاف الآراء، وخفة الأحلام! وبالضياح الحق وظهور الباطل!

إن أعظم شيء أن يحال بين العقل وبين الحقيقة ويزج به في متاهات من الاختلافات والتزييف والتضليل. ليكون من نتائج التصديق بأكذوبة ابن سبأ وظهور نتاجات وكتابات كالتى نحن بصدد تفنديها.

لقد حان الوقت لأن نلثفت إلى الورا لنكشف حقيقة نشأة هذه الأسطورة، ونقف على عوامل تلك الأباطيل التى طالما ظلت أيد سوداء ممتدة فوقها في سكون وصمت . إن تلك الأيدي العابثة بمقدسات الدين، والتي تشير الغبار في طريق وحدة المسلمين، تتحرك اليوم بار تجاف

واهتزاز، لأنّ الوقت قد حان لرفع الستار الذي تكمن وراءه، وافتضاح أولئك المحركين لها، لأنّ الوعي بوجود تدارك خطر الفرقة أصبح ينذر أولئك الدسائين بالخطر. ويخطئ من يقول: بأن بحث قضية ابن سبأ من الأمور التي لا مندوحة في بحثها الآن وإثارتها في هذا العصر، فالزمن قد تغيّر، وهذه من دفائن الماضي، وليس من الصحيح نبش تلك الدفائن ونشر صحائف مطوية، أكل الدهر عليها وشرب .

وإننا نقول: إنّ هذه القضية ليست كما يتوهم المتوهمون بأنها من الصحائف المطوية، والآثار المنسية، بل هي في كلّ وقت غضة جديدة لا تغيّرها الأيام مهما طال زمانها، فهي تنشر في كلّ وقت وتجعل من الأسس التي يستند إليها أكثر كتاب عصرنا الحاضر كوسيلة للطعن على الشيعة، وفي طليعة أولئك الكتاب شيوخ يرجي بهم سدّ ثغرة الخلاف، والسعي في اصلاح ما أفسدته ظروف قاسية، وعصور مظلمة. وهناك أساتذة يؤمل بهم تنوير عقول الناشئة الإسلامية، بما يعود على الجميع بالنفع .

ولكنهم بمزيد الأسف استسلموا للعوامل كان أليق بهم أن يقفوا أمامها موقفاً واعياً، يتمشّي مع مسؤوليتهم الملقاة

على عواتقهم في تربية النشئ وخدمة الأمة الإسلامية في
اتباع مناهج الإسلام في التثبيت في النقل، والاعتدال في
النقد.

إنهم قد نقلوا أشياء كثيرة بدون تثبيت من صحتها، أو
رجوع إلى مصادرها الموثوق بها. وأجلى مثال لذلك
الاسترسال في تقبل كل شيء هو إيراد أسطورة ابن سبأ
كدليل قاطع، وبرهان واضح لا يمكن رده وليس من
المستطاع تكذيبه.

فقد توالى العصور والناس تتداول هذه الأكذوبة وتردد
هذه الأسطورة، ولا بد من النظر إلى الغد عندما تنجاب هذه
الغمامة وتلك الحجب عن العقول والبصائر ويأخذ الجيل
الواعي بنقد ما لا يقره العقل والمنطق، ونحن نرى اليوم
الكثير من الكتاب والأساتذة الذين حكّموا العقل ونزعوا
قيود الاستسلام يبادرون إلى رفض قصة عبدالله بن سبأ
وكشف زيفها والتباسات قيامها، عند ذلك ماذا ستكون
النظرة لمن أسهم في ترويح هذه الأكذوبة ونشر هذه
الأسطورة.

نحن نرى أن لا مندوحة من التأكيد على الحقائق التي
تضمّنها وقائع التاريخ منذ مبعث النبي المصطفى ﷺ، ولا

نرى بحال أن ذلك نبشاً للماضي، لأن جذور التشيع نمت في ظل الرسالة وولدت بذرتة معها، فحقائق الرسالة والسيره النبوية وولاية الإمام علي عليه السلام ودور الأوصياء في حفظ الدين ورعاية الدعوة هي الوقائع التي تصاحب تطورات الأحداث وتختزن جوهر التاريخ. ولو نظرنا الى حملات العداة والكراهية لآل البيت الأطهار ومن يتولاها على امتداد العصور والأدوار لعلمنا أن القصد مصالغ كاد يحققها الإسلام، وأغراضاً سياسية يحاربها الدين. ولقد كانت قصة عبدالله بن سبأ واحدة من محاولات أعداء الحق وأهله ومحاربي دعاة العدل بقصد الإساءة الى مبادئ أهل البيت وتلطيح تاريخهم الناصع الوضياء.

ومن المؤسف أن نرى اليوم من يستسلم لمثل هذه الأسطورة ويتخلى عن الأخذ بمقاييس العلم وأحكام العقل مستسلماً للنقل رغم وضوح جوانب الوضع وتهاافت هذه القصة الكذوبة.

وللمثال نذكر ما كتبه بعض أولئك الرجال حول قضية ابن سبأ واستنتاجهم منها أموراً تركز بحثهم عليها فمنهم:

أبو زهو

الشيخ محمد أبو زهو - من علماء الأزهر الشريف
وأستاذ كلية أصول الفقه في الوقت الحاضر^(١) - قال تحت
عنوان «التشيع ستار لأعداء الإسلام»:
ويقيني أنّ التشيع كان ستاراً احتجب وراءه كثير من
أعداء الإسلام، من الفرس واليهود، والروم، وغيرهم
ليكيدوا لهذا الدين ويقلبوا نظام هذه الدولة الإسلامية...
إلى أن يقول: أخذوا - أي أعداء الإسلام - يتحسسون
أبواب الضعف فلم يجدوا باباً أنجح لهم من الحيلة والخداع،
فأظهر جماعة منهم الإسلام، وانضمّوا إلى أهل التشيع
مظهريين محبة أهل البيت، وسخطهم على من ظلم علياً عليه السلام،
ثم أخذوا يسلكون به مفاوز الفتن والمهالك، حتى أبعدوا
كثيراً منهم عن التدين الصحيح، بما بثّوه فيه من العقائد
الزائفة، التي يدور معظمها على هدم قواعد الدين، والتحلل
من تعاليم الإسلام وأحكامه، وأصل هذه الفتنة على ما ذكره
المؤرخون: رجل يهودي يدعى عبدالله بن سبأ، غلا في حبّ
علي حتى زعم أن الله تعالى حلّ فيه، وأخذ يؤلب الناس على
عثمان... إلخ.

(١) يوم تأليف كتاب الشيخ أسد حيدر: الإمام الصادق عليه السلام.

هذا ما يقرّه أخونا الشيخ المعاصر محمّد أبو زهو ويرسله إرسال المسلّمات، فيلقيه على طلابه ليؤدي رسالة الأجيال التي تحمل في طياتها انتصار اليهود على المسلمين، وأنّ رجلاً واحداً منهم استطاع بمكره وخداعه، أن يسوق أصحاب محمّد ويستدرجهم لأغراضه، ويفتنهم بدعوته فيستسلموا له بدون تدبّر وتفكير، ويقوموا بأمر لا باعث له إلاّ دعاية رجل يهودي فاستجابوا لدعوته، وخضعوا لإرادته وحاشاهم من ذلك، وهم أجلّ وأسمى، من أن ينزلوا إلى هذا الحضيض. ولكن الشيخ - سلمه الله - اقتنع بدون ما يوجب ذلك فنسأل الله لنا وله الهداية .

محمّد أبو زهرة

الشيخ محمّد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة القاهرة، يقول -^(١) بعد ذكر الأسباب التي أدت إلى الفتن في عهد عثمان -: ولقد كان من نتائج تولية عثمان ولاية من أقاربه، أن حرّك عوامل الاتهام بالمحاباة، وبعض هؤلاء لم يكونوا من ذوي السبق في الإسلام، وبعضهم كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه إذ ارتد

(١) انظر المذاهب الإسلامية: ٤٦-٤٧.

بعد إيمان «كعبدالله بن سعد بن أبي سرح» وقد ولّاه عثمان بعد عمرو بن العاص وقد أخذ هذا - أي ابن العاص - يؤلب الناس على «عثمان» بسبب ذلك حتى كان يقول: «والله إن كنت لألقى الراعي فاحرضه عليه» - أي على عثمان - وانتشرت بتولية عبدالله قالة السوء عنه: إذ أخذ الناس يتحدّثون عنه، وهو الرجل الذي آمن ثم كفر ثم كذب على رسول الله ﷺ ...

إلى أن يقول: ومن الأسباب وهو أعظمها وجود طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيّدون لأهله، ويعيشون في ظلّه، وكان أولئك يلبسون لباس الإسلام، وقد دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأضمروا الكفر باطناً، فأخذوا يشيعون السوء عن ذي النورين «عثمان» ويذكرون «علي بن أبي طالب ﷺ» بالخير وينشرون روح النقمة في البلاد، ويتخذون مما يفعله بعض الولاة ذريعة لدعايتهم، وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء: عبدالله بن سبأ وقد قال فيه ابن جرير الطبري:

كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم فبدأ ببلاد الحجاز، ثم البصرة ثم الشام فلم يقدر على

ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾، ثم محمداً ﷺ أحق بالرجعة من عيسى...

ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمداً ﷺ ثم قال: محمداً خاتم النبيين وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ. فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وأبدوه بالظن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتستميلوا الناس.. فبث دعواته، وكان ممن استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً، يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك، ووسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدو.

وهكذا نرى شيخ المؤرخين «الطبري» بين كيف كانت مؤامرة هؤلاء لإفساد المسلمين واتخذوا من الشكوى من

بعض ولاية عثمان ذريعة للدعوة إلى الانتفاض وبث الأفكار المنحرفة، المفارقة إلى أن يقول:

وفي ظلّ هذه الفتن نبت المذهب الشيعي وإن كان الشيعة ومعهم غيرهم يقول: إنّ جذوره تمتدّ إلى وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر المذاهب الإسلامية : ٤٦ - ٤٧.

أحمد أمين

وهذا الأستاذ أحمد أمين يصفه بأنه ممن أوعز إلى أبي ذر - صاحب رسول الله ﷺ - بتعاليمه فتأثر بها إذ يقول :

ونلمح وجه الشبه بين رأي أبي ذر الغفاري وبين رأي مزدك في الناحية المالية فقط، فالطبري يحدثنا: «أن أبا ذر قام بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء، بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوي من نار تكوى بها جباههم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكوا الأغنياء ما يلقونه من الناس» ثم بعث به معاوية إلى عثمان بن عفان بالمدينة حتى لا يفسد أهل الشام. ولما سأله عثمان: ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ قال: لا ينبغي للأغنياء أن

يقتنوا مالاً.

يقول أحمد أمين: فنرى من هذا أن رأيه قريب جداً من رأي مزدك في الأموال. ولكن من أين أتاه هذا الرأي؟ وبعد أن يوجه الأستاذ أحمد أمين هذا السؤال ويفكر عن وجود هذه الفكرة عند الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وهنا ينقدح له الجواب عن ذلك فيقول: يحدثنا الطبري أيضاً عن جواب السؤال فيقول: «ان ابن السوداء لقي أبا ذر فأوعز إليه بذلك، وان ابن السوداء هذا أتى أبا الدرداء وعبادة بن الصامت، فلم يسمعا لقوله، واخذه عبادة إلى معاوية وقال له: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر^(١). ثم يقول بعد ذلك: ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب لُقّب به عبدالله بن سبأ، وكان يهودياً من صنعاء، أظهر الإسلام في عهد عثمان، وأنه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبتّ في البلاد عقائد كثيرة ضارة قد تعرض لها فيما بعد، وكان قد طوف في بلاد كثيرة - في الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر -، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن، واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها وصبغها بصبغة الزهد التي

(١) فجر الإسلام ١١٠ ط ٢.

كانت تجنح إليها نفسه، فقد كان من أتقى الناس، وأورعهم وأزهدهم في الدنيا، وكان من الشخصيات المحبوبة، التي أثمرت في الصوفية^(١).

* * *

الخطيب

ونرى أنفسنا مضطرين لأن ننقل ما كتبه الخطيب المعروف بمحبّ الدين؛ ليستبين القارئ ما بلغته الحالة من الاعتماد على الأكاذيب، والأخذ بالأساطير، وجعل ذلك في طريق الحجاج، كما يتجلى التحدي لمقام الصحابة الكرام، والطعن عليهم بدون مبرر وإنما هو جرأة على مخالفة الحق والانصياع لداعية الهوى.

وهذا الرجل قد صبّ هذه الأسطورة بقلب رغباته، وأبرزها في اطار هواه - وكم له من اختراع في شتى المجالات - بدون أن يستند إلى دليل، أو يعتمد على مصدر. يقول: - بعد ذكره لابن سبأ - إنّ هذا الشيطان هو عبدالله بن سبأ من يهود صنعاء، كان يُسمى ابن السوداء، وكان يبثّ دعوته بخبث وتدرج ودهاء، واستجاب له ناس من

(١) فجر الإسلام ١١١ ط ٢.

مختلف الطبقات.

إلى أن يقول: وعني بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل، وأعيان المدن، الذين اشترك آبائهم في الجهاد والفتح، فاستجاب له من بلهاء الصالحين، وأهل الغلو من المتنطعين جماعات - كان على رأسهم في الفسطاط: الغافقي بن حرب العكي، وعبدالرحمن بن عديس البلوي التجيبي الشاعر، وكنانة ابن بشر، وسودان بن حمران، وعبدالله بن زيد بن ورقاء، وعمرو ابن الحمق الخزاعي، وعروة بن النباع الليثي وقتيرة السكوني...

وكان على رأس من استغواهم ابن سبأ في الكوفة: عمر ابن الأصم، وزيد بن صوحان العبدي، والأشتر مالك النخعي، وزيادة ابن النظر الحارثي وعبدالله بن الأصم .

ومن البصرة: حرقوص بن زهير السعدي، وحكيم ابن جبلة العبدي وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح، والحطم ضبيعة القيسي، وابن المحرش بن عبد. أما المدينة فلم يندفع في هذا الأمر من أهلها إلا ثلاثة نفر: محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر .

ومن دهاء ابن سبأ ومكره: أنه كان يبت في جماعة

الفسطاط الدعوة لعلي، وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة، وفي جماعة البصرة الدعوة للزبير.. ثم يذكر تزوير الرسائل من قبل ابن سبأ.

ثم يوجه الخطيب لومه على أهل المدينة بل نقده للصحابة فيقول: وكان ينبغي أن يكون ذلك سبباً ليقظتهم ويقظة علي أيضاً إلا أن بين المسلمين من يزور عليهم الفساد لخطئة مرسومة تنطوي على الشر الدائم والشرر المستطير، وكان ذلك كافياً لإيقاظهم إلا أن هذه اليد الشريرة هي التي زورت الكتاب على عثمان، بدليل أن حامله كان يتراءى لهم معتمداً ثم يتظاهر بأنه يتكتم عنهم، ليثير ريبتهم فيه، فراح المسلمون إلى يومنا هذا ضحية سلامة قلوبهم في ذلك الحين... إلخ^(١).

وهكذا رسخت هذه الأسطورة في أدمغة كثير من الكتاب المعاصرين وغيرهم، ولا نود الاستمرار بأقوال الآخرين منهم، وبما ذكرنا كفاية لإيضاح الموقف وخطره. فابن سبأ - كما مرّ عليك من الأقوال وكما تقف عليه في غير هذه الكتب - هو الذي حرك أبا ذر على معارضة معاوية

(١) حملة رسالة الإسلام ٢٣ - ٢٤.

في تصرفه بالأموال، وأنّ تلك الفكرة لم تكن من روح الإسلام وتعاليمه، وإنما هي فكرة مزدكية، وكأن الآيات التي استشهد بها أبو ذر كانت من تعاليم ابن سبأ لا من تعاليم الإسلام.

كما أن هؤلاء الذين ذكرهم الخطيب من صحابة وتابعين، أصبحوا يترأسون دعوة ابن سبأ - وهم البلهاء، أو أهل الغلو - على حد تعبير الخطيب - كعمار بن ياسر الذي ستقف على ترجمته قريباً وعبدالله بن زيد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحكيم بن جبلة العبدي، وزيد بن صوحان و...

وأى جنائية أعظم من هذه الجنائية في هذا التهجم العظيم على رجال الأمة وعظماؤها؟

ولا ندري ما هو دليل هذا الحكم، وسند هذه الأقوال؟ نعم ليس له مصدر إلا الطبري كما سيأتي . وهذا الكاتب بالأخص - وهو الخطيب - لا يثق بأقوال الطبري إلا بشروط ستقف عليها. ولكن قضية ابن سبأ قد وافقت هوى في نفسه، فأصبح فيها - كحاطب ليل - خضوعاً لهواه .

من أين وإلى أين؟

إنّ قضية ابن سبأ قد لاقت هوى في قلوب كثير من الكتاب من مستشرقين وغيرهم؛ فأحاطوها بعناية خاصة، ومنحوها مزيداً من البيان فأسبغوا عليها ألفاظاً براقة خلاصة دبجتها أقلامهم وصاروا يقرّرونها ويرددونها ترديد المؤمن بصحتها الواثق بوقوعها، وكأنّها من الحقائق التي لا تقبل التشكيك، ولا ينالها النقاش من دون التفات إلى ما وراء الأكمة من الخطر.

وبمزيد الأسف أنّهم غفلوا أو تغافلوا عن مصدر هذه القضية من أين ابتدأت وإلى أين انتهت بأثرها العظيم وما كان من ورائها من نتائج سيئة وعواقب وخيمة.

فابن سبأ يقولون عنه - كما تقدم - هو مثير الخلافات بين المسلمين وهو مؤسس مذهب يربو أتباعه على مئة مليون^(١)، وهو البطل الذي استطاع أن يحقق آماله في مصر - بعد أن فشل في غيرها من البلدان الإسلامية - فجمع الجموع، وتوجه إلى عاصمة المسلمين، وفيها الخليفة عثمان ليقلب نظام الحكم، وقد تم له ما أراد كما ذكره الشيخان: أبو

(١) الشيعة في الميزان ص ٤٤٥، هذا العدد في سالف الزمان، أما الآن لعل نسبتهم تجاوز الـ (٠.٢٥%) من مجموع المسلمين.

زهو، وأبو زهرة وغيرهما .

وهو الذي سيطر على مشاعر أبي ذر الصحابي الجليل -
الذي وصفه رسول الله ﷺ بالصدق - فأعلن على معاوية
انكاره في احتكار الأموال .

وإن ابن سبأ لئن أبا ذر فكرة مزدك المجوسي الإباحي -
نعوذ بالله من خطل الرأي - .

وإن ابن سبأ استطاع أن يجعل من كبار الصحابة أعضاء
لدعوته، ودعاة لفكرته، إلى آخر ما أحيطت بهذه القضية من
مبالغات، وهي تزداد على مرّ الأيام، ولا نعلم إلى أين ينتهي
ذلك ما دام ضوء البحث والتتبع لم يتوجه إليها وما دامت
الأقلام تكتب بدون مراعاة لحقّ العلم .

ويجب على كلّ مفكر أن يتساءل عن مصدر هذه
القصة، وما هو المنبع الذي استقى منه المؤرخون، ومن
بعدهم الكتاب من مستشرقين وغيرهم .

وهل تواتر النقل من طرق متعددة حتى يصح الاعتماد
عليها، وتكون ذات قابلية لاعتبارها من الأمور التاريخية
التي تعالج بعناء من حيث الدقة في تعيينها لما فيها من
ملاسات، وما تضمنته من أمور لا يقبلها العقل حتى
لو وردت بطرق متعددة موثوقة بها؟

ربما يظنّ أنّ لهذه القضية مصدراً موثقاً به نظراً لشهرتها وانتشارها، في عدة كتب من كتب التاريخ والأدب، ولكن كلّ ذلك لم يكن، وليس لها أي مصدر يمكن الركون إليه كما سنبينه إن شاء الله.

وبغض النظر عن مصدر القصة، والبحث عن سندها، ومعرفة رجالها فإنّ العقل يحكم بسقوطها عن الاعتبار، لما فيها من مخالفة للعقل وبعد عن الحقّ وعدم ارتباطها بالواقع. ولهذا فإنّ اللائق بمقام الأديب الباحث، أو المؤرّخ المنصف، أو الأستاذ المثقف، أن يقف موقف المثبت كما يقتضيه الحقّ ويفرضه الواجب العلمي، إذ المسألة ذات أهمية كبرى، لأنّها تضمّنت الحطّ من مقام المسلمين وسلبتهم ميزة التفكير، والنظر في الأمور عندما اطاعوا رجلاً لم يعرفوه، وساروا وراء خداعه سير الأغنام.

وفيها طعن على كبار الصحابة، وتوهين لرجال الإسلام، ووصفهم بالبلاهة - على حدّ تعبير بعضهم - وانصياعهم لأقوال وافد غريب، وداعية شرك والحاد، هذا من جهة. ومن جهة ثانية أنّ فكرته لم تلق نجاحاً إلا في مصر، فإنّهم انخدعوا فيه بسرعة، ومالوا إليه بأقصر وقت، وهو داعية مجهول، ورائد غريب، كيف يقوم فيهم بكلّ صراحة،

ومن دون حذر، يدعوهم ويؤلبهم على الانتفاضة ضد سلطان قائم، ويحثهم على العصيان بدون سبب ولا سابقة؟
فأين أهل الرأي وذوو الحزم وذوو التفكير، أكانوا كلهم بلهاء^(١) لا يعقلون؟!

إنّ هذا ليس من العقل ولا من المنطق أن تخضع مصر بهذه السرعة وهي الأمة المسلمة، وفيها أصحاب محمد ﷺ من ذوي العقول الراجحة والفكر الثاقب، وذوي الخبرة والتجارب.

ولنترك الحديث للدكتور طه حسين حول أسطورة ابن سبأ وما فيها من مخالفات للواقع - باختصار - .
يقول الدكتور في كتابه الفتنة الكبرى عثمان الفصل ١٤:

وهناك قصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها، وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثاره، وهي قصة عبدالله بن سبأ الذي يعرف بابن السوداء.

قال الرواة: كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء

(١) هكذا يعتبر الخطيب المعروف (بمحب الدين).

حبشي الأم، فأسلم في أيام عثمان، ثم جعل يتنقل في الأمصار يكيّد للخليفة ويغري به، ويحرّض عليه، ويذيع في الناس آراء محدثة أفسدت عليهم رأيهم في الدين والسياسة جميعاً...

وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الإسلامية، أيام عثمان، ويذهب بعضهم إلى أنه أحكم كيده إحصاءً، فنظم في الأمصار جماعات خفية تتستر بالكيّد؛ وتتداعى بينها إلى الفتنة، حتى إذا تهيات لها الأمور وثبت على الخليفة؛ فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام.

ويختل إليّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحدّ يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ اسرافاً شديداً، وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلفاء على عثمان، فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان، وانتقاض الناس عليه، ولم يذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثر تفصيلاً. وذكره الطبري عن سيف بن عمر، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر.

ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن؟ ولكن أقطع بأنّ خطره - إن كان له خطر - ليس ذا شأن، وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان...

ومن أغرب ما يروى من أمر عبدالله بن سبأ هذا أنه هو الذي لقن أباذر نقد معاوية فيما يقولون من أنّ المال هو مال الله، وعلمه أن الصواب أن يقول: إنه مال المسلمين. ومن هذا التلقين إلى أن يقال إنّه هو الذي لقن أباذر مذهبه كلّ في نقد الأمراء والأغنياء...

فالذين يزعمون أنّ ابن سبأ قد اتصل بأبي ذر فألقى إليه بعض مقاله يظلمون أنفسهم، ويظلمون أباذر ويرقون بابن السوداء هذا إلى مكانة ما كان يطمع في أن يرقى إليها. والرواة يقولون: إنّ أبا ذر قال ذات يوم لعثمان بعد رجوعه من الشام إلى المدينة:

لا ينبغي لمن أدى زكاة ماله أن يكتفي بذلك حتى يعطي السائل، ويطعم الجائع، وينفق في سبيل الله، وكان كعب الأحبار حاضراً هذا الحديث. فقال: من أدى الفريضة فحسبه. فغضب أبو ذر وقال لكعب: يا ابن اليهودية! ما أنت

وهذا! أتعلمنا ديننا؟ ثم وجأه بمحجنه. فأبو ذر ينكر على كعب الأخبار أن يعلمه دينه، بل أن يدخل في أمور المسلمين حتى بإبداء الرأي، مع أن كعب الأخبار مسلم، أبعد عهداً بالإسلام من ابن سبأ وكان مجاوراً في المدينة...

وأكبر الظن أن عبدالله بن سبأ هذا إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة، وعظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنعوا على علي وشيعته من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للمسلمين.. إلى أن يقول:

هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ.

ثم يأخذ الدكتور في بيان أسباب الثورة على عثمان. تركنا التعرض لها^(١).

(١) راجع الفتنة الكبرى: ١٣٤.

المدينة المنورة

ثم نعود لعاصمة المسلمين المدينة المنورة وفيها المهاجرون والأنصار الذين خاضوا غمار الحرب في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب. كيف يصح أن يقال بأنهم استسلموا ولم يقفوا موقف الحزم أمام جيش قاده ابن سبأ، وقطع به تلك المسافة البعيدة من مصر إلى المدينة، فيحتلها، ويقطب نظام الحكم، ويقتل الخليفة، ولم يقف المسلمون موقف الدفاع، لإنقاذ الموقف ودفع هذه الكارثة.

ولكن الواقع هو غير هذا؛ فإن الثورة لم تكن من مصر فقط، ولم يكن القائد لها ابن سبأ إذ لا وجود له، وإنما كانت من المدينة للاستياء العام الذي انتشر في بلاد الإسلام من سوء تصرف الأمويين، وأعمال مروان خاصة، مما دعا إلى تداول الرأي بين الصحابة لاصلاح الوضع الراهن، كما ذكر ذلك أكثر المؤرخين.

ولنترك الحديث للأستاذ أحمد أمين: في آخر مؤلف ظهر له وهو «يوم الإسلام»، يقول أحمد أمين: وقد سار عثمان في السنين الست الأولى سيرة عادلة رحيمة، ولكنه في الست الأخيرة كانت قد كبرت سنه، وخضع لأقاربه من الأمويين،

فتترك تصرف الأمور لرئيسهم مروان بن الحكم الأموي... فأغضب ذلك كثيراً من الصحابة، وخصوصاً علياً والزبير وطلحة وغيرهم، فأرادوا أول الأمر أن يحرروا الخلافة من هذه السلطة، فنصحوا عثمان بالاعتزال فأبى، ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى كان عثمان في المدينة، وليس معه إلا نفر قليل من الأصدقاء، وكان من أكبر الشخصيات في محاربتة وتأليب الناس عليه، عائشة بنت أبي بكر، واستطاع خصومه جميعاً أن يثيروا الأمصار عليه، واجتمع أهل المدينة حول بيته، ورفضوا أن يتزحزحوا عنه، وثار المصريون أيضاً لما علموا أن كتاباً كتب باسم عثمان إلى عامله عبدالله بن أبي سرح يأمره فيه بالفتك بالزعماء عند عودتهم...^(١)

ويقول: وكان من أهم ما نقم الناس على عثمان أن طلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد الأموي صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم، وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن نفاه رسول الله ﷺ، وأعطاه مائة ألف درهم، وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق المدينة على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم، وأقطع مروان فدك، وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها، تارة بالميراث، وتارة بالنحلة،

(١) انظر يوم الإسلام لأحمد أمين: ٥٧.

فدفعت عنها وحمى المرعى حول المدينة كلها، من مواشي المسلمين كلها إلا عن بني أمية، وأعطى عبدالله ابن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا بالغرب، وهي من طرابلس إلى طنجة من غير أن يشركه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف وقد كان زوج ابنته أم أبان. فجاء زيد بن أرقم صاحب المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى.

فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا ولكن أبكي لأنني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً. فقال عثمان: إلق المفاتيح فإننا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى الأشعري بأموال كثيرة من العراق فقسمها كلها في بني أمية.

وزوج الحارث بن الحكم فأعطاه مائة ألف من بيت المال، ونفى أبا ذر رضي الله عنه إلى الربذة لمناهضته لمعاوية في الشام في كنز الذهب والفضة.

وضرب عبدالله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وعدل

عن طريق عمر في إقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدي العابثة، والانتصاب لسياسة الرعية... الخ^(١).

* * *

وكيف كان فإنّ الثورة ابتدأت من المدينة، وقام جلّ الصحابة في المعارضة لاصلاح الوضع مما ارتكبه الأمويون عندما استغلوا تلك الفرصة. وقد كاتب الصحابة أهل الأمصار: إن أردتم الجهاد فهلمّوا فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتمكم^(٢).

المصدر

نرى أنفسنا ملزمين بأن نستعرض مصدر هذه القصة، ونقف على المنبع الذي استقى منه الكتاب معلوماتهم عنها، لأننا قد وجدنا بعض الكتاب ممن يميل إلى التشكيك في صحتها؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا ذلك بصراحة لأنهم يظنون أنها متعددة الروايات متواترة عن الثقات من المؤرخين، الأمر الذي يدعو إلى عدم طرحها ولكنّه ينفي

(١) يوم الإسلام لأحمد أمين: ٥٨-٥٩.

(٢) انظر البلاذري: ٥ / ٦٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ١٦٨، وتاريخ

← الطبري: ٦٤٤/٢ وغيرهم.

المبالغات التي فيها.

ويذهب بعضهم إلى الجزم بصحتها لأنها وردت عن راوٍ خرّج حديثه الترمذي^(١)، ومن هذا وذاك اختلط الأمر على كثير منهم.

يقول الدكتور ضياء الدين الريس: وقد أخذ بعض المؤلفين يميل إلى الشك في شخصية هذا الرجل - وهو عبدالله بن سبأ - ولكن تعدد الروايات عنه، وتواتر أنباء الثقات من المؤرخين تؤيد القول بوجوده، وإن كان محل المبالغة أنهم ينسبون إليه كلّ ما حدث في عهد عثمان ويحملونه تبعته... إلخ^(٢).

فالدكتور الريس هو واحد من أولئك الذين اشتبه عليهم الأمر فظن تعدد طرق الروايات لقضية ابن سبأ إذ وجدها المذكورة في عدة كتب، ولكنه لا يرى صحة ما أحاط بهذه الشخصية من حكايات، فهو يذهب إلى وجود شخصيته مجردة من المبالغات، وكلّ اعتماده في هذا القول هو أنّ الروايات متعددة، والأبناء عن ابن سبأ متواترة، قد نقلها الثقات من المؤرخين.

(١) صحيح الترمذي: ٥/٦٩٧، ح ٣٨٦٦.

(٢) النظريات السياسية الإسلامية: ٤١.

ونحن هنا نستشعر إدراكه للحقيقة وميله الى الشك بوجود شخصية في التاريخ اسمها عبدالله بن سبأ، غير أنه لا يقوى على الإفلات من تأثير الأساليب القديمة وقواعدها والتي أخذت من طبيعة العمل بالرواية واتصالها بالحديث الشريف، فكان ما يرويه الثقات قطعياً وإن كان الأمر يتعلق بحوادث أو أفكار أو أشخاص لكل الناس الحق في النظر إليها نظرة واقعية، ونرى أنّ واجبنا العلمي يقضي بتوجيه أشعة البحث العلمي لنرى على ضوءه ما كمن في ظلمات الجهالة من حقائق يلزم إبرازها، وإزالة كل ما يعترئها من خفاء.

ولا شك أنّ مسألة كهذه يجب على كلّ باحث حرّ أن يعطيها مزيداً من الوقت؛ لأنها ذات نتائج وخيمة أدت بالمجتمع إلى أضرار ووقوع فواحح يذوب لها قلب كلّ مسلم، فلننظر على ضوء البحث ما هو مصدرها؟

إنّ المصدر الأوّل لهذه القضية التي لم يسبقه أحد إلى ذكرها هو: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) صاحب التفسير الكبير، ومؤلف تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري. وهو المصدر الوحيد لهذه القصة وجميع ما يتعلّق بأخبار عبدالله بن سبأ.

وأخذ عن ابن جرير كلّ من ابن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠ هـ) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) وابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨ هـ) وغيرهم .
 وكل ما أورده ابن جرير حول أخبار ابن سبأ وحوادث عهد عثمان وأخبار الردّة إنّما كان مصدره سيف بن عمر المتوفى في عهد الرشيد أو بعده .
 وليس لنا أن نتكلّم حول ابن جرير ونقله لأمثال هذه الأسطورة، فإنّه نقل أقوالاً وذكر ما بلغه وسمى قائلها، وترك للباحث الحكم لها أو عليها وقد خرج الطبري عن عهدة المؤاخذات بما ذكره في مقدمة كتابه بقوله:
 «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبّلنا، وإنّما من قبّل بعض ناقله إلينا، وإنّا إنّما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا»^(١).

وبهذا فهو لم يقرّر صحة كل ما نقل إليه، وقد ترك باب النقاش مفتوحاً للباحث، كما أنّه يأتي في كتابه بالأخبار

(١) تاريخ الطبري : ٥/١ .

المتعارضة التي يستحيل أن تصح معاً، ولا يتعرض لها بالموازنة والترجيح إلا إذا دعت الحاجة لذلك.

والطبري، لاشك مؤرخ جليل وفقه عالم، نذر نفسه للعلم والمعرفة ومن وجوه علمه أن يجعل في المقدمة تنبيهاً على طريقة كتابته لتاريخ الأمم والملوك وبيان أنه أخذ أخبار الماضين كما نقلت إليه وبذلك فهو ينأى بنفسه عن مؤاخذات عدم الصحة والاختلاق والوضع، ولم يجعل نفسه وراء نقوله والأخبار التي أثبتها، ولم يطالبنا بتصديق كل ما ورد في كتابه والاعتراف منا بصحة ما ضمّه تاريخه.

أخبار الطبري

ونرى من الأنفع هنا أن ننقل للقارئ الكريم ما كتبه الخطيب - المعروف بمحب الدين - حول تاريخ الطبري. يقول الخطيب:

إنما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل، فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي، وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تذهيب الكمال للصفى الخزرجي، وتهذيب التهذيب للحافظ بن

حجر، والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال، وفي طبقات ابن سعد، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي، ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف، ولا نعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها، وشروط الانتفاع بها كما عني بذلك علماء المسلمين، وأنّ العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي .

أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم، ولا يتعرفون إلى روايتها ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني، ويظنون أنّ مهمتهم قد انتهت بذلك فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار .

ولو أنّهم تمكّنوا من علم مصطلح الحديث وأنسوا بكتب الجرح والتعديل واهتموا برواة كلّ خبر كاهتمامهم بذلك الخبر، لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي، ولتمكّنوا من التمييز بين غثّ الأخبار وسمينها، ولعرفوا

للأخبار أقدارها، بوقوفهم على أقدار أصحابها^(١).
 هذا ما يقرره الكاتب الخطيب. وقبل أن ندخل في
 موضوع البحث عن سند الروايات في قضية ابن سبأ نودّ أن
 نسأل هذا الكاتب :

هل التزم هو بما قرره هنا فبحث عن رجال السند لما
 ينقله عن الطبري وغيره؟

وهل تمكن من علم مصطلح الحديث؟ وأنس بكتب
 الجرح والتعديل فوقف عن قبول رواية من جرحوه؟ وتقبل
 رواية من عدلوه؟

فإن أجاب بنعم. فالواقع يكذبه، لأنه أورد في كتاباته
 أشياء لا تستند إلى مصدر موثوق به، فقرر قبولها طاعة لهواه.
 وأجلى مثال لذلك هو ما ذكرناه هنا عن قضية ابن سبأ
 التي انفرد بها الطبري، ولم يكن في سند الرواية من يتصف
 بصفة القبول فكيف اعتمد عليها؟

ولا أدري أنّ ما ذكره هنا لماذا لا يطبقه على نفسه بل
 يريد ذلك للغير؟ وما هو إلا من الأمرين بالمعروف التاركين
 له الناهيين عن المنكر الفاعلين به.
 وإلى القراء بيان سند الرواية ليتضح لهم أنّ ما كتبه
 الخطيب لا يعدو حبراً على الورق.

(١) مجلة الأزهر العدد ٢٤ ص ٢١٠، سنة ١٣٧٢ هـ.

السند

رأينا فيما سبق كيف أخذت اسطورة ابن سبأ مأخذها في التاريخ الإسلامي، وشقت طريقها إلى الهدف الذي وضعت من أجله، وهو الطعن في عقائد المسلمين، وإبرازهم في إطار الجهالة والانخداع، ممن يتظاهر لهم بأمر ينسبها إلى الدين، وقد عبّر كثير من الكتّاب عن أولئك الرجال العظام الذين يدّعي بعض الكتّاب أنهم استجابوا لابن سبأ: بأنهم تقبلوا ذلك عن حسن نية. وبعضهم يصفهم بالبلاهة، وبعضهم بالغوا إلى آخر ما عندهم من سوء التعبير.

وقد رأينا أيضاً أنّ ابن سبأ أصبح ذا قوة وسلطان ينشر عقائده، ويبثّ مفاصده في المجتمع الإسلامي بدون خوف من سلطان، أو حذر من مؤاخذه الرأي العام، حتى استطاع أن ينحرف بأكثر المسلمين عن جادة الحقّ بدون أن تمسّه عقوبة، أو يناله ضرر من ولاية الأمصار الذين عرفوا منه السعي بما يضرّ بالدولة، في دعوة الناس إلى ثورة ضد الخليفة عثمان.

وقد ذكروا أنّ والي البصرة إكتفى بإخراجه من البلد، وأنّ معاوية عندما علم بأمره لم يعمل معه أي شيء، وابن أبي سرح في مصر لم يؤاخذه بشيء، وهو يرى تحشد جموعه،

وتأهبهم لغزو المدينة، لحدوث انقلاب إلى آخر ما ذكره
من تهويل أمره ورفع شأنه .

يقول الدكتور طه حسين - بعد ذكره لقضية ابن سبأ
واستبعاده صحتها - :

فلنقف من هذا كله موقف التحفظ، والتحرج والاحتياط،
ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبت بدینهم،
وسیاستهم، وعقولهم رجل أقبل من صنعاء، وكان أبوه
يهودياً، وكانت أمه سوداء وكان هو يهودياً ثم أسلم - لا رغياً
ولا رهباً - ولكن مكرراً وكيداً وخداعاً، ثم أُتِج له من النجح ما
كان ينبغي، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه
وفرقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شیعاً وأحزاباً .

هذه كلّها أمور لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا
ينبغي أن تقام عليها أمور التأريخ^(١) .

نعم إنّ هذه الأمور التي أحاطت بهذه القصة وما تضمّنته
من أشياء لا يمكن تصديقها - وهي كافية في طرحها، وعدم
الاعتماد عليها - ولا حاجة بعد هذا إلى البحث عن السند
ومعرفة حالة الرواة، لأنّ ذلك - كما هو الواقع - شيء زائد لا
يحتاج إليه .

(١) الفتنة الكبرى : ١٣٤ .

ولكن نظراً لما لهذه القصة من أهمية، وأن بعضهم يظنّ أنّ روايتها ثقات فقد دعت الحاجة إلى معرفة حالة رجال السند، والاستماع لأقوال علماء الرجال ليتّضح الأمر، وتظهر الحقيقة، ويكون الحكم للعقل لا للعاطفة وللعلم لا للجهل، وللحق لا للباطل .

وأنّ مستند هذه القصة هو واحد لا غير وهو سيف ابن عمر، وقد انفرد الطبري بذلك وعنه أخذ بقية المؤرخين كما سبق. والآن نضع رجال السند أمام القراء ولهم الحكم .

رجال السند

الطبري - في حوادث سنة (٣٠ هـ) - يقول: وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذر، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها - من الشام إليها إلى المدينة - أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلى السري يذكر أنّ شعيباً حدثه عن سيف، عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله...

إلخ^(١). كما ذكره أحمد أمين في استدلاله على أن ابن
السوداء لقن أبا ذر مبادئ مزدك المجوسي إذ يقول أحمد
أمين: ونلمح وجه الشبه بين رأي أبي ذر وبين رأي مزدك في
الناحية المالية فقط فالطبري يحدثنا:

إن أبا ذر قام بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء،
واسوا الفقراء. بشر الذين يكتنون الذهب والفضة... إلخ كما
تقدم.

ثم يقول أحمد: ولكن من أين أتاه هذا الرأي؟ - أي أبا
ذر - يحدثنا الطبري أن ابن السوداء لقي أبا ذر فأوعز
إليه بذلك...^(٢)

وهو ما أشرنا إليه الآن، فحديث الطبري كان عن مكاتبة
من السري أن شعيباً حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد
الفقعسي.

فهؤلاء هم رجال سند هذه القصة ومستند حكم أحمد
أمين على أبي ذر بأنه يرى رأي مزدك، وأنه أخذه عن ابن
السوداء.

فمن هم هؤلاء الرجال؟ وما هي منزلتهم؟ وما محلهم

(١) الطبري: ٥/٦٦ ط ١.

(٢) انظر فجر الإسلام ص ١١٠.

من الصدق؟ ستأتي الإجابة عن ذلك قريباً إن شاء الله .
ولا يفوتنا هنا أن نلفت نظر القارئ إلى أن الطبري
يجعل هذه القصة من قبل العاذرين لمعاوية، وهم
المتعصبون له وناهيك ما للتعصب من أثر في الافتعال .

* * *

أما ما يتعلق بقضية ابن السوداء وتجواله في الأمصار
الإسلامية وفشل محاولاته، وأخيراً يحطّ رحله في مصر
وإظهار قوله بها في الرجعة والوصاية، وأنه بثّ دعائه - كما
يروى الطبري - وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه
ودعوا في السر إلى ما عليه أمرهم إلى آخر ما رواه
الطبري^(١) وذكره الشيخ أبو زهرة وغيره من الكتاب .

وإذا رجعنا لمصدر القصة فحديث الطبري هكذا يقول
فيما كتبه إلى السري: عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن
يزيد الفقعسي قال كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل
صنعاء، أمّه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان
المسلمين يحاول ضلالهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة ثم
الكوفة إلى آخر ما ذكر في ج ٥: ٩٨ - ٩٩ ط ١.

فالحديث يدور حول الطبري، والسري، وشعيب

(١) الطبري: ٩٨/٥ ط ١.

وسيف وعطية ويزيد الفقعسي. هؤلاء رجال سند الرواية وهؤلاء مستند من ذكروا ابن سبأ في كتبهم وعظموا أمره في كتاباتهم وخلقوا منه شخصية قوية ذات أثر في تاريخ المسلمين بل غيّر مجرى التاريخ.

وأصبحت الرواية مشهورة وقد لعبت طريقة الاتباع دورها في تجميد العقل وترك التحقيق على ما فيها من مخالفة لقواعد التطور وقوانين الحياة التي تقضي باستخدام مقاييس العقل فيما يروى ويصدر عن الناس فأَيّ مقنع في أن تكون أقوى دعامة لعدم الرد على صحة قضية ابن سبأ، أو صدورها من ثقات كالطبري وهو راوية ولم يفصح عن تقرير كل ما حواه تاريخه؟ ولم يقل بصحة ما ضمه .

كما أن أي رواية في قيمتها تتأثر بسندها. وقد انحصرت قصة ابن سبأ في دائرة الطبري وبدأ عرضها على لسان سيف ولم يشارك الطبري أحد من المؤرخين الثقات الآخرين، كما أنّ الفجوة الزمنية تبقى قائمة لا تغلقها أو تملأها ذيول من الأكاذيب.

فأين كان ذكر ابن سبأ قبل روايه سيف؟
ونتزل لمقتضيات الأمانة ومستلزمات التحقيق ونسلط أشعة التحقيق على رجال قصة ابن سبأ.

والواجب يقضي علينا عدم التصديق بأمثال هذه المفتريات، ولكن لزيادة الإيضاح والتنازل للحصول على ما هو الواقع نجعل هؤلاء الرجال تحت أشعة التحقيق العلمي.

التحقيق

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ) صاحب التاريخ الكبير المعروف بتاريخ الطبري، ولا يتعلّق لنا غرض بالبحث عن شخصيته فهو شخصية معلومة ومن رؤساء المذاهب البائدة، وقد تبرأ من عهدة النقل بقوله الآنف الذكر: فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنّما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وإنّما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا^(١).

وعلى هذا أصبحت المسؤولية على عاتق الرواة الذين روى عنهم، وهنا نجري التحقيق العلمي عن رجال سند هذه القصة الذين روى عنهم الطبري وهم:

(١) الطبري: ٥ / ١.

السري، وشعيب، وسيف بن عمر، وعطية، ويزيد الفقعسي، فمن هم هؤلاء وما مقدار تحملهم للرواية؟ وماذا يقول عنهم علماء الرجال؟

١- السري

هذا هو أول سلسلة الرواية، والطبري عندما يروي عنه يقول: كتب إليّ السري، أو فيما كتب إليّ به السري. من دون أن ينسبه إلى أبيه أو عشيرته. ولكنه روى عنه مرة مشافهة فقال: حدثني السري بن يحيى^(١).

فظهر أنّ الذي يحدث عنه الطبري هو السري بن يحيى، وهو مع ذلك مجهول لا يعرف ويتردد هذا الاسم بين جماعة هم:

السري بن يحيى بن أياس وهذا لم يعاصر الطبري، لأنّ وفاة السري بن يحيى سنة (١٦٧ هـ) أي قبل ولادة الطبري بسبع وخمسين سنة إذ ولادة الطبري سنة (٢٢٤ هـ) ووفاته سنة (٣١٠ هـ) فهذا لا يمكن أن يكون هو. السري بن يحيى بن السري ابن أخي هناد بن السري،

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٢١٣.

ذكره ابن أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧ هـ) وهذا كان في عصر الطبري لأنه عاصر ابن أبي حاتم، ولكن، لم تذكر له رواية، أو يشير أحد إلى من روى عنه ولم يصفه أحد بأنه محدث أو حدث عن أحد أو حدثوا عنه وبهذا فهو مجهول. وعلى أي حال لا يوجد بهذه النسبة من عرف بالحديث أو اشتهر بالرواية. وبعضهم يرى أن السري الذي يروي عنه الطبري هو السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي ابن عم الشعبي وكاتبه، وهذا أيضاً لا يصح لأن وفاة الشعبي سنة (١٠٣ هـ) وولادة الطبري سنة (٢٢٤ هـ) ولا يمكن أن يمتد عمر السري هذا إلى زمن الطبري فيحدثه، ومع هذا فقد اتصف بصفات توجب رد ما يرويه فهو ضعيف ومتروك الحديث كما يقول ابن المبارك وأبوداود، والنسائي وهو ليس بثقة وأحاديثه التي يرويها لا يتابعه عليها أحد كما يقول ابن عدي. وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل إلى آخر ما وصفوه به^(١).

ويرى بعضهم أن السري الذي يروي عنه الطبري هو: السري بن عاصم ابن سهل أبو عاصم الهمداني مؤدب المعتز بالله، وقد ينسب إلى جدّه، وهذا معاصر للطبري لأن وفاته

(١) انظر تهذيب التهذيب: ٤٥٩/٣ - ٤٦٠، وميزان الاعتدال: ٢٧٠/١.

سنة (٢٥٨ هـ) في بغداد وكان عمر الطبري عند وفاة السري هذا ثلاثين سنة فيمكن أن يكون هو .

ومع هذا فقد كذبه ابن خراش ووهّاه ابن عدي، وقال: يسرق الحديث وقال النقاش: إنه وضاع، وذكر الذهبي حديثين من وضعه^(١).

وكيف كان فإنّ الجهالة تحيط بهذا الراوي الذي يروي عنه الطبري، ولو فرضنا أنه معروف وأنه ثقة، يلزمنا أن نحقق عن شيخه الذي يروي عنه وهو شعيب.

٢ - من هو شعيب ؟

شعيب بن إبراهيم وهو مجهول، قال الذهبي: شعيب بن إبراهيم راوية كتب سيف عنه: فيه جهالة؛ وذكره ابن عدي وقال ليس بالمعروف، وهذا لا يحتاج إلى إطالة بحث، لأنّ الجهالة قد أرخت عليه سدولها ولا يعرف إلا أنه راوية سيف بن عمر .

٣ - من هو سيف ؟

سيف بن عمر الضبي الأسدي ويقال التميمي البرجمي

(١) ميزان الاعتدال: ١/ ٢٧٠، ولسان الميزان: ٣/ ١٢.

ويقال السعدي الكوفي المتوفى بعد سنة (١٧٠ هـ) وهو راوية أحاديث السقيفة والردة، وحوادث عهد عثمان، وهو نقطة إنطلاق أسطورة ابن سبأ، وعليه تدور أخبار السبئية، ونشأتهم وأثرهم في المجتمع الإسلامي، وما أحدثوه من بدع، وما أوجدوه من خلاف .

إنه هو المبدع لهذه الأساطير، والموجد لتلك لحوادث، والمنفرد بتصوير شخصية ابن سبأ، والبانى لكيانه . وقد وصفوه بأنه وضاع كذاب، زنديق يروي الموضوعات عن الأثبات^(١)، ولننظر أولاً إلى من يروي عنهم سيف أو بعبارة أوضح من يضع عنهم الروايات، ثم نعود إلى الحديث عن سيف.

من هو عطية؟

لا يدري من هو عطية الذي يروي عنه سيف فهل هو عطية العوفي المتوفى سنة (١١٠ هـ) أم عطية بن قيس الكلابي المتوفى سنة (١٢١ هـ) أم غيرهما؟ فإن كان المراد به العوفي فذلك شيء بعيد جداً لأن عطية العوفي كان من التابعين وتوفي سنة (١١٠ هـ) فسيف بن عمر لم يدركه لأنه

(١) تهذيب الكمال: ١٢/٣٢٤ رقم ٢٦٧٦.

متأخر عنه بل كان في بطون الأرحام وليس من الصعب على سيف أن يدعي الرواية عنه وهو لم يدركه. أما عطية بن قيس الكلابي فهو شامي ولم يتصل به سيف، ونحن لا ندري من هو؟ ولئن حصلت لنا دراية فماذا تنفع وسيف ثبت أنه وضاع؟

ومن جهة ثانية إن يزيد الفقعسي وهو نهاية السلسلة وبداية الأسطورة لم يعرف من هو، ولا يوجد في الرجال من يسمى بهذا الاسم ويلقب بالفقعسي، وهنا تنقطع السلسلة، ولا يبعد أنه شخصية وهمية كشخصية عبدالله بن سبأ، فسيف بن عمر قادر على أن يخلق ألف شخصية وشخصية، ويخترع آلاف الأساطير. فهو وضاع بارع ويوجد من لا شيء أشياء كثيرة وإليك بعض ما وصف به .

سيف بن عمر في الميزان

وبعد أن كشف التحقيق عن رواة هذه القصة، أي قصة ابن سبأ نودّ أن نضع بطل هذه الأسطورة سيف بن عمر في الميزان، لنعرف قيمة روايته ممّا يتّنه علماء الرجال من حاله. قال ابن حجر: سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال السعدي، ويقال الضبعي، ويقال الأسدي الكوفي صاحب

كتاب الردة والفتوح روى عن عبدالله ابن عمر العمري وأبي الزبير...

قال ابن معين: ضعيف الحديث وقال مرة: فليس خير منه - أي لا يأتي منه خير - وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكورة لم يتابع عليها، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. وقال ابن حبان أيضاً: وقالوا عنه إنه كان يضع الحديث، وأتتهم بالزندقة، وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك. وقال الحاكم: أتتهم بالزندقة^(١).

وقال الذهبي: سيف بن عمر الضبي الأسدي التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة. ثم يذكر أقوال علماء الرجال كما ذكر ابن حجر، ونقل عن جعفر بن أبان إنه سمع ابن نمير يقول: كان سيف يضع الحديث، وقد أتتهم بالزندقة^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: سيف بن عمر الضبي: عن يحيى بن

(١) تهذيب التهذيب: ٤ / ٢٩١.

(٢) ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٨.

معين أنه قال: سيف بن عمر الضبي الذي يحدث عنه المحاربي ضعيف الحديث. وقال سئل أبي عن سيف بن عمر الضبي فقال متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي^(١).

وفي ترجمة القعقاع عند ابن أبي حاتم أورد له حديثاً رواه سيف بن عمر، عن عمر بن تمام، عن أبيه عن القعقاع، وقال ابن أبي حاتم: وسيف متروك الحديث فبطل الحديث. وإنما كتبنا ذلك للمعرفة^(٢).

والحديث هو ما رواه سيف عن القعقاع بن عمر قال: شهدت وفاة رسول الله ﷺ فلما صليت الظهر جاء رجل حتى قام في المسجد فأخبر بعضهم أن الأنصار قد اجتمعوا أن يولوا سعداً - يعني ابن عبادة - ويتركوا عهد رسول الله ﷺ فاستوحش المهاجرون^(٣).

قال ابن السكن: سيف بن عمر ضعيف. وذكر ابن حجر قول ابن أبي حاتم: سيف بن عمر متروك الحديث، وكذلك ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب: ٣، ٢٦٣ بهامش الإصابة. وقال السيوطي: سيف وضاع. وذكر حديثاً من طريق

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢: ٢٧٨ قسم ١.

(٢) الجرح والتعديل: ٣/١٣٦ قسم ٢.

(٣) انظر الإصابة لابن حجر: ٣/٢٣٩ ط ١.

السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال
السيوطي: موضوع فيه ضعفاء أشدهم سيف.

ولعلنا فيما أوردناه من أقوال علماء الرجال هو كافي
لمعرفة سلسلة هذه الأسطورة، وبالأخص بطلها الأول سيف
بن عمر، فقد استبان وزنه، وعرفت حالته، ولم يرد عن أحد
منهم فيه كلمة ثناء كما وقفت عليه.

وربما يقال: إن سيف بن عمر خرّج له الترمذي وروى
له في صحيحه فيظنّ أنّ له أحاديث في الأحكام وغيرها، أو
أنّ الترمذي صحّح حديثه؛ وبهذا يتثبت من يريد أن يخلق
لسيف بن عمر شخصية يوثق بها.
ولكن الترمذي لم يرو له إلا حديثاً واحداً وقال - بعد أن
ذكره: وهذا منكر.

والحديث الذي رواه الترمذي هو عن أبي بكر بن نافع
عن سيف بن عمر السعدي، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع،
عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم
الذين يسبون أصحابي فالعنوه (كذا).
قال الترمذي: وهذا الحديث منكر. وبهذا فهو ساقط عن
الاعتبار^(١).

(١) صحيح الترمذي: ٥/٦٩٧ ح ٣٨٦٦.

ولسنا بحاجة إلى أكثر من هذا البيان لمعرفة حالة سيف بن عمر، ومقدار تحمله للرواية؛ فهو كما رأيت: وضاع كذاب، زنديق متروك الحديث، أحاديثه منكورة و.و. إلخ. ونحن إذ نتكلف البحث عن سند هذه الأسطورة وغيرها من أحاديث سيف التي هي أبعد ما تكون عن الواقع، فكل قصدنا التنبيه على ما يظنّ أو يتبادر إلى ذهن البعض بأن تلك الأساطير قد اشتهرت، وذكرها كثير من المؤرخين فلا بد أنهم وثقوا من الناقلين فأثبتوها، فنالت هذه الشهرة. والواقع أنّ هذه الشهرة لم تكن للتواتر، ولا لصحة ما يروى عن سيف وإنّما المصدر الوحيد هو الطبري كما قدمنا، وقد أخذ عنه كل من ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وأبي الفداء وغيرهم. فأما ابن الأثير فقد صرح في مقدمة تاريخه بأنّه أخذ ما في كتاب الطبري وزاد عليه... إلخ^(١).

وأما ابن كثير فقد ذكر في تاريخه عن سيف بن عمر - فقط - أنّ سبب تألب الأحزاب على عثمان: أنّ رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ، كان يهودياً فأظهر الإسلام، وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من نفسه،

(١) انظر الكامل لابن الأثير: ٣/١ الطبعة الأولى سنة (١٣٠١ هـ).

مضمونه أنه يقول للرجل... إلخ^(١) ثم ينقل القصة وبعد ذلك ينقل عن سيف وحده بعض الحوادث كما في ص ١٦٩، ثم يمضي في ذكر الحوادث، حتى يأتي إلى صفحة ٢٤٦ فيقول: هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير رحمته الله.

وأما ابن خلدون فإنه ذكر السبئية في حادثة الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري^(٢).

وقال في ص ٤٥٧ منه: هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة، والفتوحات ثم الاتفاق والجماعة، وأوردتها ملخصة من كتاب محمد بن جرير الطبري، وهو تأريخه الكبير... إلخ.

أما ابن عساكر في تاريخه مدينة دمشق وهو مرجع لكثير من الكتاب: إما إليه نفسه أو إلى تهذيبه لابن بدران، وقد يرجعون إليهما معاً.

فإن ابن عساكر في حديثه عن السبئية ينقل عن الطبري بل ينقل نفس العبارة كما في تهذيبه^(٣) لابن بدران ولكنه يترك السند وفي ٧: ٤٢٩ يقول: وروى سيف بن عمر عن أبي

(١) تاريخ ابن كثير: ١٦٧ / ٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٤٢٥ / ٢.

(٣) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤٢٨ / ٧.

حارثة وأبي عثمان. ثم يذكر قصة ورود ابن سبأ إلى مصر .
ويروي ابن عساكر في تاريخه عن أبي القاسم
السمرقندي، عن أبي الحسين النقور عن أبي طاهر
المخلص، عن أبي بكر سيف، عن السري بن يحيى، عن
شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر .

فهذا هو سند ابن عساكر لجميع ما ينقله حول ابن سبأ،
وأنت تراه يلتقي مع الطبري في السند الذي أورد فيه تلك
الحوادث .

وصفوة القول أنّ الجميع عيال على الطبري أو على
سيف في إيراد حوادث ابن سبأ، والطبري كما تقدّم لم
يضمن أصلاً صحة ما أورده في تاريخه، بل هو ناقل وترك
لقرائه البحث والتنقيب لأنه تبرأ من عهدة رواياته في
التاريخ، وحملها على أكتاف روايتها له، وقد تقدم، وأن
الراوي هو سيف بن عمر ولا طريق غيره.

هذا ونرى أنفسنا في غنى عن التوسع في البحث حول
هذه القضية إن كان الأمر يدور حول الواقع، ومعرفة الحقيقة،
وأنّ الحكم للعلم من دون مغالطة وتعصب.

وقد أثبت التحقيق العلمي مقدار ما لهذه الأسطورة من
الواقع، فهي بعيدة كلّ البعد عنه .

وما أورده هنا من الموهنات لهذه الأسطورة وما ورد
في نقد سلسلة رجالها ليس كل ما ورد فيها، بل هناك أشياء

كثيرة لم نذكرها اختصاراً.

ومن الحق والإنصاف أن نشير إلى ما كتبه العلامة السيد المرتضى العسكري حول أحاديث سيف بن عمر وأسطورة ابن سبأ، في كتاب عبدالله بن سبأ^(١) بصورة واسعة مستقصياً أحاديثه في الحوادث التاريخية، وماله من افتعالات وأحداث.

وقد تعرّض إلى أسماء الصحابة الذين افتعل سيف بن عمر أسماءهم؛ ولم توجد إلا من طريقه بل إبتكاره. وقد سبق أنّ العلامة الأميني في الجزء الثامن من كتابه الغدير قد تعرّض لأحاديث سيف بن عمر الموضوعة وأحصاها وهي ٧٠١ وقال: تحت عنوان: نظرة في تاريخ الطبري:

شوّه الطبري تاريخه بمكاتبات السري الكذاب الوضع عن شعيب المجهول الذي لا يعرف، عن سيف الوضع المتروك، الساقط المتهم بالزندقة؛ وقد جاءت في صفحاته بهذا الإسناد المشوه ٧٠١ رواية وضعت للتمويه على الحقائق الراهنة في الحوادث الواقعة من سنة (١١١ هـ) إلى (٣٧ هـ) عهد الخلفاء الثلاثة، ولا يوجد شيء من هذا الطريق

(١) طبع منه الجزء الأول الطبعة الأولى في النجف الأشرف والطبعة الثانية في القاهرة.

الوعر في أجزاء الكتاب كلها غير حديث واحد ذكره في السنة العاشرة.

وإنما بدأ برواية تلکم الموضوعات من عام وفاة النبي الأقدس ﷺ وبتّها في الجزء الثالث، والرابع، والخامس، وانتهت بانتهاء خامس الأجزاء:

ذكر في الجزء الثالث من ص ٢١٠ في حوادث سنة (١١١هـ)، ٦٧ حديثاً.

أخرج في الجزء الرابع في حوادث سنة (١٢هـ)، ٤٢٧ حديثاً.

أورد في الجزء الخامس في حوادث السنة الـ (٢٣هـ-٣٧هـ) ٢٠٧ أحاديث فيكون المجموع ٧٠١ حديث^(١).

وعلى أيّ حال فإنّ هذه الأسطورة التي أخذت مفعولها في المجتمع وأثرت أثرها السيء، هي نتيجة للتعصب الأعمى الذي ينحرف بأصحابه عن جادة الصواب ويطلق الأوهام والخرافات من عقالها، وقد مرت قرون وهي تحتلّ مكاناً من الكتب التاريخية، بدون أن ينالها التحقيق أو تسأل عن كفاءتها لاحتلال ذلك المكان.

وقد تصرّف فيها كثير من الكتاب، وفقاً

(١) الغدير: ١/ ٣٣٥-٣٣٦.

لأهوائهم، وطبقاً لرغباتهم ولم يهتدوا بهدي عبقرياتهم، ومواهبهم العلمية.

وإنّنا لا ننكر أنّ هناك من أنكر وجود هذه الأسطورة في صفحات الكتب واستنكر وجودها، وأنّها لا تستحق أن تحتلّ ذلك المحل من التاريخ الإسلامي؛ فأخذ يحارب وجودها، ويطالب بإبعادها، وبعض يشك في أمرها، ويتوقف عن نفيها أو إثباتها.

ومن الغريب أن نجد من يتعصب لابن سبأ ويثبت وجوده وسعيه المنكر في إثارة الفتنة بين الصحابة، ويتحامل على من ينكر ذلك، ويصل به تعصبه لابن سبأ إلى حدّ القول بأنّ إنكاره كمن ينكر وجود عيسى بن مريم، أو ينكر الشمس، وهذا قول بدون دليل، بل هو من المتناقضات كما سنبيّنه، فمن هو هذا المنكر؟ هو محمّد زاهد كوثري وإليك نصّ قوله:

يقول الكوثري*

عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليماني، كان يتعتر في أذياه في سبيل الركض وراء إثارة فتن بين الصحابة رضي الله عنهم، متنقلاً بين اليمن، والحجاز، والبصرة والكوفة، ومصر والشام، للدس وتعكير الصفاء بين المسلمين في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، أيام كان المسلمون ما خبروا أساليب الماكرين، وطرق فتن الفاتنين، من قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، على ما في صحيح البخاري وغيره، ونتائج تلك الفتن ماثلة أمام كل باحث، مدونة في كتب ثقات المؤرخين من علماء هذه الأمة، من أمثال ابن أبي خيثمة، وابن جرير، وابن عساكر، وابن كثير، وابن السمعاني وغيرهم رغم محاولة بعض المسفسطين من

(*) الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري أصله من القوقاز ولد في الأستانة المستولد سنة (١٢٩٦ هـ) وتوفي سنة (١٣٧١ هـ) وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية وصاحب المؤلفات الكثيرة في المذهب الحنفي وغيره. وله تعليقات على بعض الكتب ينتصر بها للحنفية وهو شديد التحامل على من خالف مذهبه. وله رد على الخطيب البغدادي حول ما ذكره في ترجمة أبي حنيفة.

أبناء اليوم إنكار وجود شخص يقال له عبدالله بن سبأ، فضلاً عن أن يكون أحدث تلك الأحداث، ضارباً أقوال هؤلاء السادة عرض الحائط، فيما يمس بني العمومة - والعرق دساس - وشأن هذا الصنف من الكتاب شأن من ينفي صلة إسماعيل عليه السلام بمكة، وشأن من ينكر وجود شخص يقال له عيسى بن مريم، في محاولة إنكار الشمس في رابعة النهار... إلى أن يقول: فاستبعاد سعي ابن سبأ في الفتنة في عهد عثمان بعد اعتراف جولد تسهير اليهودي بذلك تحزباً لليهود فوق اليهود أنفسهم وسيف بن عمر من رجال جامع الترمذي فلا يستغني عن أنبائه... إلخ^(١).

هذا هو حكم الشيخ الكوثري على قضية ابن سبأ، وأنها كالشمس في رابعة النهار، وأن من أنكرها من الكتاب يكون من أبناء عمومة ابن سبأ بمعنى أنه يهودي إذ العرق دساس - على حدّ تعبيره - وأن سيف بن عمر لا يستغني عن أنبائه وهو من رجال جامع الترمذي، والراوي وهو الطبري وهو

(١) انظر تقديم كتاب المقدمات الخمس والعشرين: ٣-٥.

ثقة وأن جولد تسهير ذكرها .

وهذه أدلة يسوقها الكوثري لإثبات قضية ابن سبأ بطل الفتنة، وقائد جيش الانقلاب على الخليفة عثمان . ولعلّ هناك ممن يطلع على هذا القول فيظنّ أنّ الكوثري حكم بهذا نتيجة لتتبعه وقناعته في الموضوع، وكلّ ذلك لم يكن .

وإنّما كان هذا الحكم نتيجة لتعصّبه وتعّمده لإخفاء الحقائق والتمويه والجدل، ونحن من فمه ندينه في نقض هذا الحكم .

من فمك أدينك..

بين أيدينا مقال للشيخ الكوثري عنوانه: «كلمة عن خالد بن الوليد وقتل مالك بن نويرة» .

يتحدّث الشيخ في هذه الكلمة حول حادثة مالك بن نويرة، وقتل خالد له ودخوله على زوجة مالك في ليلة قتله، كما ذكرها المؤرخون .

يقف للدفاع عن خالد ويندد في كتب الغربيين الذين

نقلوا هذه الحادثة ويقول: وكانت طريقة كتاب الغرب في النيل من الإسلام طريقة الإقذاع المجرد...

ثم يطعن في كتب السير أمثال محمد بن إسحاق فيكذبه، ويكذب رواته .

وكتاب الواقدي وأنه غير مثبت بل يروي عن كل من هب ودب ويروي الأخبار الكاذبة.

إلى أن يأتي إلى الطبري وهو أحد رواة تلك الحادثة فيقول: وابن جرير الطبري عمدة أمثال ابن الأثير، وأبي الفداء، وابن كثير، وابن الوردي، وأن الطبري لم يضمن صحة ما أورده في تاريخه وأنه تبرأ من عهدة رواياته في التاريخ وحملها على أكتاف رواتها له .

وهكذا يقف الشيخ في الدفاع عن خالد ويطعن في كتب التاريخ ويكذب الرواة .

وليس هذا محل القصد من ذلك بل نريد أن نستمع في دفاعه عن سيف ابن عمر وشيوخه، ومن روى عن سيف، وقد تقدّم قوله مما يشعر بأنه من رجال جامع الترمذي ويؤخذ بأحاديثه .

فلنترك الشيخ يتحدّث عن سيف في مقام دفاعه عن خالد فيقول: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة والفتوح، يقول عنه أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال الحاكم: أُتِّهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. وقال ابن حبان: إنّه كان يضع الحديث، يروي الموضوعات عن الإثبات، أُتِّهم بالزندقة وضعفه غير واحد. وراويته شعيب بن إبراهيم يقول عنه الذهبي: فيه جهالة.

ويقول ابن عدي: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار فيها ما فيه تحامل على السلف .

والراوي عنه السري بن يحيى غير موثق، وهو شيخ ابن جرير في رواياته عن سيف، وأما من فوق سيف من الرجال مجاهيل في الغالب^(١).

* * *

هذا ما جاء في دفاع الكوثري عن خالد بن الوليد، وقد ظهر لنا أنّه يطعن في مرويات سيف ويكذبه، وهذا السند هو

(١) انظر مقالات زاهد كوثري: ٤٥٥-٤٦٢.

نفسه الذي خرّج الطبري فيه أحاديث وحوادث السبئية .
 فما معنى جزمه بصحة ما جاء في هذا السند عن حوادث
 السبئية وأنها كالشمس في رائحة النهار؟ وفي قضية خالد بن
 الوليد وقتله لمالك ونزوه على امرأته يحكم بكذبه، ويجزم
 بتوهينه كما مرّ، على أن قضية خالد وزنائه بزوجة مالك بن
 نويرة قد خرّجه الطبري من طريق آخر وهو: عن
 عبد الحميد بسند عن عبد الرحمن بن أبي بكر - وفيه قول
 عمر بن الخطاب لأبي بكر في ذمّ خالد بن الوليد: عدو الله
 عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزى على امرأته. وأقبل
 خالد بن الوليد قافلاً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر وقال:
 إرثاً قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لأرجمتك
 بأحجارك... إلخ^(١).

ولسنا بصدد إيراد هذه القصة والبحث عن ورودها
 ولكننا نريد أن نبين مدى ما بلغت إليه الحالة من التنكر
 للحقائق، والابتعاد عن الواقع، نتيجة للتعصب الأعمى،

(١) الطبري: ٣/ ٢٤٣.

وانقياداً للهوى المردي.

ولعلّ الشيخ الكوثري يعتذر بأمر واجب وهو: أنّ رواية قتل مالك بعد ثبوت إسلامه وقد شهد له جماعة عند خالد ونزوه على امرأته وبذلك طعن على خالد وهو صحابي، ولا يصح الطعن، وحينئذٍ يجب تأويل كلّ رواية تتضمن ذلك، وقد تقدم قول النووي، قال العلماء: الأحاديث الواردة في ظاهرها حمل على صحابي يجب تأويلها^(١).

والشيخ الكوثري قام بواجبه في الدفاع عن خالد في إرتكابه بتلك الفعلة الشنيعة. ولأنّ سيفاً في بعض طرق الطبري لرواية خالد إنهال عليه الكوثري ببراهين الحق، ولكنّ التعصّب أو العناد يحول سيفاً الى راوية ثقة ولا يستغنى عن أنبائه لأنه مصدر قصة ابن سبأ، فهل هذا من العلم والأمانة في شيء؟!

وعلى أيّ حال، فإنّ قضية ابن سبأ تتضمن الطعن على أغلبية الصحابة، ووصفهم باتّباع رجل يهودي يضلّهم عن دينهم، ويدعوهم إلى ما نهى الإسلام عنه، وفيها: أنّ أبا ذر

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٧٧/١٥.

تلقي مبادئ الزرادشتية والتعاليم اليهودية من ابن سبأ،
وعمار بن ياسر من استهواه ابن سبأ، فأصبح على رأس
الدعاة لابن سبأ ومبادئه.

وبهذا تكذيب لأقوال رسول الله ﷺ ووصفه لأبي ذر
بالصدق ولعمار: بأنه مع الحقّ والحقّ معه وإنه ما خير بين أمرين
إلا اختار أشدهما وأنّ عماراً هو ميزان لمعرفة الفئة المحقة ولا
تقتله إلا الفئة الباغية.

ونرى من اللازم هنا ختاماً لهذا الموضوع أن نشير
لبعض الأحاديث الواردة من صاحب الرسالة الأعظم نبينا
محمد ﷺ في أبي ذر وعمار بن ياسر.

أبو ذر الغفاري

أبو ذر: جندب بن جنادة بن سكن المتوفى سنة (٣١هـ) -
(٣٢هـ) بالربذة هو رابع الإسلام، والمعذب في سبيل نشر
الدعوة الإسلامية، وهو الزاهد المشهور الصادق اللهجة،
الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ما أقلت الغبراء ولا أظلت

الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذر^(١).

وأخرج الترمذي بلفظ: ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيهه عيسى بن مريم . وهذا الحديث مشهور رواه جماعة وخرجه الحافظ كالترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وأبو نعيم، وغيرهم^(٢). وكان أبو ذر هو رابع الإسلام، وأول من جهر في الدعوة، وأعلن الإسلام بين قومه، وفي مكة حتى ناله العذاب، وهو ممن أمر الله تعالى نبيه ﷺ بحبّه كما عن بريدة: عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان. أخرجه الترمذي في صحيحه^(٣) وابن حجر في الإصابة^(٤)، وأبو نعيم في الحلية^(٥)، وأبو عمر في الاستيعاب^(٦) وغيرهم.

(١) الإصابة لابن حجر: ٦٤/٤.

(٢) انظر صحيح الترمذي: ٢٢١/٢، ومستدرك الحاكم: ٣٤٢/٣.

(٣) صحيح الترمذي: ٥/٦٣٦ ح ٣٧١٨.

(٤) الإصابة: ١٠٥/٧ ح ٩٨٧٧.

(٥) حلية الأولياء: ١٩٠/١.

(٦) الاستيعاب: ٤٢٣/٢.

وقال النبي ﷺ: أبو ذر في أمّتي على زهد عيسى بن مريم^(١). وقال علي بن أبي طالب: أبو ذر وعاء ملئ علماً ثم أوكئ عليه^(٢). وروى ابن عبد البر عن الأعمش بسند عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله أبو الدرداء فقال: أين تركت أبا ذر؟ فقال: بالربذة.

فقال أبو الدرداء: إن الله وإنا إليه راجعون، لو أن أبا ذر قطع مني عضواً ما هجته لما سمعت رسول الله يقول فيه^(٣). وأخرج الطبراني من طريق ابن مسعود مرفوعاً: من سره أن ينظر إلى شبه عيسى خلقاً فلينظر إلى أبي ذر^(٤).

والأحاديث في فضله وزهده وعلمه كثيرة، ومواقفه في الذب عن الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشهورة لا تحصى بهذه العجالة.

(١) انظر أسد الغابة: ٥ / ١٨٧.

(٢) الإصابة: ٤ / ٢٤، وأسد الغابة: ٥ / ١٨٧.

(٣) الاستيعاب: ١ / ٢١٧.

(٤) الاستيعاب: ١ / ٢١٦.

وبمزيد الأسف أنّ ذلك الرجل المجاهد قد وصفوه بما لا يليق به، وأصبح ممن تستهويه الدعايات الكاذبة فيكون ممن لقنه ابن سبأ واستهواه وصار ينطق بلسانه ويعتبر عن فكره كما هو منطوق أسطورة ابن سبأ .

فأين حمل الأخبار أو الأحاديث التي فيها حمل على الصحابة، على غير الوجه التي تدل عليه؟ وكأنّ أبا ذر لا يشمل ذلك، مع أنّهم صدقوا في حقّه من لا يصدق كيف يكون أبو ذر يحمل فكرة ابن سبأ ويدعو لها وهو الصادق اللهجة؟ وفي ذلك نصر لليهود، بأن يميل إليهم رجل وصفه رسول الله بالصدق والأمانة والزهد .

عمار بن ياسر

أبو اليقظان عمار بن ياسر المقتول في صفيين سنة (٣٦هـ) .

وكان عمار بن ياسر قد عذب هو وأبوه في أوّل الدعوة الإسلامية وتمسكوا بإسلامهم، رغم ما واجهوا من المحن والبلاء .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهرية يعدّونهم برمضاء مكة،

فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، صبراً آل ياسر موعدكم الجنة^(١).

وقد وردت عن صاحب الرسالة الأعظم كلمات الثناء على عمار مما يدلّ على عظيم منزلته، وجلالة قدره كقوله ﷺ: ملئ عمار إيماناً إلى أخص قدميه. وفي حديث عائشة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه.

وأخرجه ابن ماجة وأبو نعيم من طريق هاني بن هابي قال: كتنا عند علي بن أبي طالب فدخل عليه عمار فقال مرحباً بالطيب المطيب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه^(٢).

وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت فشكاني إلى النبي ﷺ فلما جئت رفع رسول الله ﷺ رأسه، فقال ﷺ: من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله^(٣). قال خالد فما زلت أحبّه يومئذٍ.

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٣٤٢/١، وحلية الأولياء: ١٤١/١.

(٢) انظر الإصابة: ٥١٢/٢.

(٣) الإصابة: ٥١٢/٢. والاستيعاب بهامش الإصابة.

وقد حثّ النبي ﷺ على اتباع عمار عند نزول الفتن وأنّ عماراً لا يكون إلا مع الحقّ.

روى البيهقي عن الحاكم وغيره بسند عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ^(١).

وجاء رجل إلى عبدالله بن مسعود فقال: إنّ الله قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمننا أن يفتننا، رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال ابن مسعود: عليك بكتاب الله. فقال الرجل: رأيت أن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله؟

فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ^(٢).

ولمّا احتضر حذيفة بن اليمان وقد ذكر الفتنة قالوا له: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سميّة فإنّه لن يفارق الحقّ حتى يموت أو قال: فإنّه يدور مع الحقّ حيث دار^(٣).

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن النبي ﷺ: أنّ عماراً

(١) تاريخ ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاستيعاب: ٤٨٠/٢.

مع الحقّ والحقّ معه، يدور مع الحقّ أينما دار وقاتل عمار في النار^(١).

وقد اشتهر قول النبي ﷺ: بأنّ عماراً تقتله الفئة الباغية. وقد ورد هذا الحديث من طرق متعددة رواه جماعة من الصحابة منهم: عثمان بن عفان، وعائشة أم المؤمنين، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن سمرة، وعبدالله ابن مسعود وغيرهم.

ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو الغادية قاتل عمار.

وكان الناس يعرفون ذلك، ولكن معاوية موه على الناس بتأويل هذا الحديث تأويلاً باطلاً ليتستر بذلك عن المؤاخذة عندما قتل عماراً وارثك جيش الشام، وعلموا أنّهم الفئة الباغية على لسان النبي ﷺ.

فلجأ معاوية إلى حيلة تؤثر على البسطاء السذج فقال: نحن لم نقتل عماراً وإنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا.

وهذا من حيل ابن العاص ودهائه، وقد أثرت هذه المغالطة أثرها على ضعفاء النفوس.

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ١٨٧ ط ليدن.

يقول ابن القيم الجوزية تلميذ ابن تيمية: ومن التأويل الباطل تأويل أهل الشام قول النبي ﷺ لعمار: تقتلك الفئة الباغية. فقالوا نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا. وهذا التأويل مخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإنّ الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به، ولهذا ردّ عليهم من هو أولى بالحقّ والحقيقة منهم، فقال: أفيكون رسول الله ﷺ وأصحابه هم الذين قتلوا حمزة والشهداء معه حتى أوقعوهم تحت سيوف المشركين؟^(١).

* * *

وإنّ الاستمرار في مناقب عمار وذكر مواقفه وما ورد فيه من أحاديث وما نزل فيه من آيات لا يتسع المقام لاستطرادها، وليس من غرضنا أن نترجم له هنا. إنّ الشيء الذي نوّد أن نقوله: إن من أعظم الجرأة على الله وعلى رسوله أن ينسب لهذا الرجل الذي بدأ حياته في الجهاد وملاقة العذاب وختمها في الشهادة، دفاعاً عن الإسلام، واتباعاً لحقّ وإحقاقه، مثل هذه الإساءات، أو يوصف بأنه ممن استهواه ابن سبأ فسار في ركابه وكان من

(١) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية: ١٠.

دعائه؛ حتى يسلم خصومه من المؤاخذت ويتبرأوا مما
إرتكبه من مخالفات؟

وليت إنهم استدلوا بما يوجب الشبهة في ذلك فضلاً عن
الجزم بالحكم فيما وصفوه فيه، فرحم الله عماراً، فلقد لزم
الحق وحارب الباطل ومات شهيداً بسيف الفئة الباغية كما
أخبر الرسول المعظم ﷺ.

إنّ الذين وصفوا عماراً بما وصفوه من أتباع ابن سبأ
قد ارتكبوا إثماً لا يغتفر، وقد ردّوا على رسول الله ﷺ
أقواله في عمار.

وكذلك جنائتهم بحق الصحابي الجليل زيد بن صوحان
فجعلوه على رأس الدعاة لأبن سبأ؛ ومن الخير أن نشير إلى
زيد بن صوحان بموجز من البيان إيضاحاً لما قد يتوهم
صحة ما قاله أولئك المفترون في حقّه.

زيد بن صوحان

زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث أبو سلمان العبدي
المقتول سنة (٣٦هـ) وقد سمّاه رسول الله ﷺ بزید الخیر.
وكان زيد ممن يصوم النهار ويقوم الليل، وإذا كانت ليلة

الجمعة أحيائها.

وأخرج ابن حجر وابن سكن، وابن أبي شيبة وغيرهم أنّ النبي ﷺ أخبر عن زيد بن صوحان بأنه يسبق عضو من أعضائه الجنة. وقد قطعت يده في حرب المشركين وقيل في نهاوند^(١).

وقال ابن عبد البر: روي عن النبي ﷺ من وجوه: أنه كان في مسير له فهوم فجعل يقول: زيد وما زيد زيد جندب وما جندب فستل عن ذلك؟

فقال ﷺ: رجلان من أمتي أما أحدهما فتسبقه يده أو قال: بعض جسده إلى الجنة، وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق فيها بين الحقّ والباطل.

قال أبو عمر: أصيبت يد زيد يوم جلولاء ثم قتل يوم الجمل مع عليّ ؑ، وجندب بن كعب قاتل الساحر... إلخ^(٢) وقد شهد كعب حرب الجمل مع عليّ ؑ.

وكان زيد وجيهاً مقداماً، وقد وفد على عمر بن الخطاب فأكرمه، وجعل يرحل لزيد بيده، ويطأ على ذراع راحلته

(١) انظر تهذيب ابن عساکر ج ٣ ص ٤١٠، والإصابة ج ١ ص ٢٥٠ في ترجمة جندب بن كعب.

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٠.

ويقول: يا أهل الكوفة، هكذا فاصنعوا بزيد.
ولمّا أراد زيد أن يركب دابته أمسك عمر بركابه، ثم قال
لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه^(١).
وكان سلمان يقدّمه للصلاة والخطابة وهو أمير، وأخرج
الحافظ وابن عدي عن عليّ عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من
سرّه أن ينظر إليّ من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إليّ
زيد بن صوحان.

قال ابن عساكر: ورواه الخطيب البغدادي، وأبو يعلى،
وقال: قطعت يده في جهاد المشركين، وعاش بعد ذلك دهرًا
حتى قتل يوم الجمل^(٢).
ولمّا قتل زيد أوصى بأن يدفن في ثيابه، وقال قبل أن
يقتل: إني رأيت يداً خرجت من السماء تشير إليّ أن تعال،
وأنا لاحق بها يا أمير المؤمنين^(٣).

ومهما يكن من أمر فإننا نأسف الأسف الشديد لغفلة كثير

(١) ابن عساكر ج ٦ ص ١١.

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١١.

(٣) ذكرنا ترجمة زيد مفصلة في كتابنا تاريخ الكوفة.

من الكتاب الذين تناولوا البحث عن التاريخ الإسلامي، ولم يقفوا أمام هذه الأسطورة موقف الباحث المتثبت، وتساهلوا في نقلها والتعليق عليها بما يزيد جذورها تشبثاً في المجتمع ويضعف شرّها على الأمة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ولورجعوا إلى الواقع لوجدوا أنفسهم أمام صورة جامدة منحوتة بيد الأغراض السياسية لتحقيق أهدافهم في تضليل الناس بأوهام باطلة تنشر هنا وهناك، وتملاً أوهام الصغار والكبار بمشاعر لا أصل لها.

ونحن نأمل أن تدرس هذه القصة وغيرها من الخرافات التي اختفى من ورائها النزاع السياسي والصراع العقائدي دراسة واقعية على ضوء التحقيق العلمي المجرد من التعصب والتحيز؛ ليظهر الحق والحق أحق أن يتبع. وأن تلك الأباطيل لا تقف أمام الواقع بل هي أشباح خيالية لا بد لها من الزوال. وإنا لو اتقون بأنّها لن تدوم؛ فهي سحب تنجلي، وعقبات تندك، وحجب ترفع، ما دام للعلم كلمته، وللعدل حكمه.

إننا نكتب للعلم وللعدل، وليس أجمل بالمرء من أن يتكلّم على موازين العلم، ولا أبهى من العدل في الحكم بعد أن يعرفها العلم، فالحكم على الشيء قبل معرفته خطأ لا يغتفر.

خلاصة البحث

هذه دراسة قدّمناها باختصار عن أثر المستشرقين في ثقافتنا الإسلامية وتاريخنا الذي نستمد منه معلومات أسلافنا الماضين .

وقد رأينا بهذه العجالة كيف كانت دراسة أولئك الكتاب، وأنها لم تكن دراسة تتركز على أسس علمية، وقواعد منطقية، وأمور واقعية، بل كانت دراسة محدودة لا تتجاوز التعصب أو التساهل في النقل، بل دراسة تقليد لا تعتمد على تحقيق، وملاحظة للأمور الواقعية.

إنّهم ينظرون إلى الحوادث بمنظار غيرهم من الذين يحوِّرون الحقائق، ويبدلون لها لتلبس تلك القوالب التي يفرضونها فرضاً وهي قوالب أفكار لا تمت إلى الواقع بشيء، بل تخيلات وهمية ترسم لنا صورة الاندفاع وراء مضلّلات العاطفة، ومرديات التعصّب الأعمى.

وقد أشرت سابقاً إلى ضرورة الالتفات إلى الخطر الذي يحدق بنا من أثر ما يبثّه أولئك المستشرقون من سموم الفرقة، بضروب مختلفة، في تحطيم بناء وحدة المسلمين، والحيلولة بينهم وبين تمسكهم بتعاليم دينهم، ليقوموا على أنقاضها معاقل تضمن لهم تنفيذ ما يطلبه خصوم الإسلام، وتحقيق ما يرجونه .

ولا أحميد عن الواقع إن قلت: إن الاستشراق أصبح طريقاً
ينفذ منه المستعمرون لأغراضهم، ووسيلة من وسائل
سيطرتهم على الشعوب المسلمة؛ وقد رأينا كيف كانوا
يتوارون وراء البحث عن الإسلام لينفثوا سموهم، ويحققوا
أهدافهم .

كما إتضح لنا إعجاب كثير من الكتاب بأساليبهم
الخداعة، وألفاظهم البراقة، فنقولها كما هي بدون تمحيص،
بل اجترأ آراءهم وسكبوها في أبحاثهم، ولم يجعلوا للبحث
عن الواقع محلاً، ولم يحفلوا بما يتصف به أولئك من
التعصب على الإسلام .

وإننا لندرجو أن يتنبه الكتاب لخطر تلك الآراء، وأضرار
تلك الأبحاث التي يشوبها الخلط والخبط والتشويه والتمويه.
وقد تعرضت هنا - وفي الأجزاء السابقة - لمناقشة بعض
الكتاب الذين تناولوا الشيعة بما لا يتفق مع الواقع، وتهجموا
عليهم دونما انصاف وتدبر .

ولم أكن في مناقشتي قد جنيت على نفسي بإهمالها أو
أفسح لها المجال في ميدان العاطفة والتأثر، ممّا وقفت عليه
من عبارات الغمز والطعن والقول بالباطل، ولم اتخل
عن المنهج الذي نهجته وهو الاستقامة في النقد
والاتزان في الرد .

وقد خفّ وزن البعض فانحدروا إلى مستوى المهاترات والجدل العقيم، ويريدون أن يحشروا ألفاظاً فارغة في تليفق التهم؛ وقد اعرضنا عن أقوالهم وألقيناها في سلة المهملات. وفي الختام نقول: لقد ذهب الزمن بما فيه ومرّت الحوادث بما فيها من آلام، ومضى زمن تلاعب ذوي الأغراض بمقدرات الأمة، وتكالبهم على السيادة بوسائل التفرقة بين صفوف الأمة.

ولقد فتك داء الفرقة بجسم الأمة ولم تنل من ذلك إلا الخسارة والدمار؛ ومن الله نسأل أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم، وأن تنمو بينهم روح المحبة والتسامح ويحصل بينهم كلّ ما يوصلهم إلى رضا الله وإلى سعادة الأمة إنّه سميع مجيب^(١).

(١) سبق القول في المقدمة: ١٢: إن البحث مستلٌّ من الكتاب القيم: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة للمرحوم الكاتب والمفكر الإسلامي الشيخ أسد حيدر النجفي رحمته الله.

الفهرس

٧.....	كلمة المجمع العالمي لأهل البيت <small>عليه السلام</small>
١١.....	المقدمة
١٣.....	تمهيد
١٨.....	أبو زهو
١٩.....	محمّد أبو زهرة
٢٢.....	أحمد أمين
٢٤.....	الخطيب
٢٨.....	من أين وإلى أين؟
٣٥.....	المدينة المنورة
٣٨.....	المصدر
٤٢.....	أخبار الطبري
٤٥.....	السند
٤٧.....	رجال السند
٥١.....	التحقيق
٥٢.....	١- السري

- ٢- من هو شعيب؟..... ٥٤
- ٣- من هو سيف؟..... ٥٤
- من هو عطية؟..... ٥٥
- سيف بن عمر في الميزان..... ٥٦
- يقول الكوثري..... ٦٦
- من فمك أدينك.. ٦٨
- أبو ذر الغفاري..... ٧٢
- عمار بن ياسر..... ٧٥
- زيد بن صوحان..... ٨٠
- خلاصة البحث..... ٨٥
- الفهرس..... ٨٩